محمد أركون: الاسلاميات التطبيقية وآفاق الأنسنة

Mohammed Arkoun: Applied Islamism and the Prospects for Humanity

د. مالك سماح [1*]

[1] جامعة العربي التبسي، تبسة. الجزائر: maleksameh289@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/22 تاريخ القبول: 2021/03/17 تاريخ النشر: 2021/03/31

الملخص

ينتمي المشروع الفكري لمحمد أركون للحركة الفكرية العربية المعاصرة، التي تهدف إلى مراجعة الكثير من القضايا والمسلمات في مجال الثقافة العربية. خاصة وأن شغفه بالتراث الانساني في الموروث الثقافي الكلاسيكي الاسلامي جعله يأخذ من التوحيدي الكثير من الدلالات والمعاني وأهمها عبارة أن الانسان أشكل على الانسان. لهذا يرى أركون من مهامه الأساسية كمثقف ومفكر تبيان كيفية ظهور هذه البذور الواعدة حول الانسان، والتي كانت ستنتج انسانية متفتحة ومؤمنة، لو اتيحت لها الظروف التاريخية الملائمة في الفكر الإسلامي.

من أهم الاهداف المرجوة من خلال هذه الورقة البحثية، الكشف عن أهمية المشروع الأركوني من الناحية العلمية، وتميزه في تاريخ الفكر العربي المعاصر. معتمدين على المنهج التحليلي التاريخي، كونه الانسب لهذه الدراسة.

ومن أهم ما توصلنا اليه هو أن أركون عمل على تفكيك كل النصوص المقدسة، وتجاوز كل التصورات الارثوذوكسية التي غلب عليها وبشكل كبير طابع التقديس والأدلجة والأسطرة واللاتاريخية.

الكلمات المفتاحية: نقد العقل الاسلامي، العقل الاستطلاعي، الاسلاميات التطبيقية، التراث، الحداثة.

Summary

The intellectual project of Mohammed Arkoun belongs to the contemporary Arab intellectual movement, which aims to review the issues and axioms in the field of Arab culture. Arkoun's passion for the human heritage in the classical Islamic cultural heritage led him to take from Al-Tawhidi connotations and meanings, the most important of which is the statement that man is more than a human being. that is why Arkoun sees one of his basic tasks as an intellectual and thinker is to show how these promising seeds emerged around man, which would have deduced an open-minded and believed humanity, if the appropriate historical conditions were allowed for it in Islamic thought.

Among the most important goals desired through this research paper is to reveal the importance of the Arcounian project from a scientific point of view, its distinction in the history of contemporary Arab thought. This paper is based on the historical analytical method, being the most appropriate for this study.

One of the most important things we have reached through this study is that Arkoun worked on deconstructing all sacred texts, and transcended the orthodox perceptions that were dominated by the nature of sanctification, ideology, myth and non-history.

Keywords : Islamic Mind Criticism, Exploratory Mind, Applied Islamism, Heritage, Modernity.

* د. مالك سماح: maleksameh289@gmail.com

مقدمة:

مع بداية الستينات من القرن الماضي قدم محمد أركون أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة السوربون حول موضوع "نزعة الأنسنة في الفكر الغربي"، وفي عام 1970 تحولت هذه الأطروحة إلى كتاب يحمل عنوان "نقد العقل الاسلامي". والذي يعد النواة الأولى لمشروع أركون الفكري الذي يعتبره مختلفا عن كل المحاولات الموجودة في الساحة الفكرية العربية، التي لم ترقى إلى درجة التفكيك. ولهذا فإن مشروعه الفكري بأكمله يمكن إرجاعه إلى السؤال الجوهري كيف يمكن إدخال الفكر والمجتمع العربيين إلى عصر الحداثة؟ خاصة وأنه يصرح في مدونته الفكرية أنه انطلق من واقع المجتمعات العربية الاسلامية –خاصة المجتمع الجزائري– فما يعيشه الفرد العربي المسلم من تخلف وانحطاط ومشاكل لا حصر لها كانت المحرك الرئيسي للفكر الأركوني بأكمله.

فبعد أن صارعت هذه المجتمعات من أجل الحصول على استقلالها وحريتها وجدت نفسها أمام مشاكل أكثر تعقيدا، لأن العرب والمسلمين بشكل عام وجدوا أنفسهم في مواجهة أنفسهم لأول مرة وسوف تندلع كل المشاكل دفعة واحدة، مشكلة التنمية أولا، مشكلة اقتناص الحريات السياسية والديموقراطية ثانيا، مشكلة تشكيل المجتمع المدني المتماسك والمتراص الصفوف. عندئذ سوف تبدأ مرحلة ما يدعى بالجهاد الأكبر أي الجهاد ضد النفس الداخلية، عندئذ سوف تحصل المواجهة الكبرى للذات مع ذاتها أي مواجهة الشق التحديثي للشق التقليدي داخل كل مجتمع من المجتمعات العربية الإسلامية.

إن المهمة التي تكفل بها أركون هي مهمة نقدية تعمل على إعادة قراءة التراث قراءة نقدية منفتحة على آخر ما أنتجته العلوم الانسانية والاجتماعية، بما ينعكس على واقع هذه المجتمعات إيجابا. وهو بهذا يدرج النقد كقيمة معرفية وتاريخية في قراءة التراث العربي الاسلامي بعيدا عن التصورات الأيديولوجية. وهذا ما يوضحه مترجمه هاشم صالح مؤكدا أن النقد لا يعني الهجوم على الاسلام كما توهم بعض السذج الذين يفهمون كلمة نقد بالمعنى السلبي فقط لأنهم يجهلون معناها الفلسفي العميق كما هو وارد عند كانط، وإنما تعني أن كل التراث العربي الاسلامي منذ البداية وحتى اليوم ينبغي أن يتعرض لغربلة عامة شاملة من أجل معرفة بنيته الداخلية أو كيفية تشكله التاريخي طيلة القرون الستة الأولى بشكل خاص.

انطلاقا من ذلك نطرح الأسئلة التالية: ما المقصود بالعقل المنبثق؟ وما هي الامكانات المتاحة أمامه للتقليص من ثنائية الديني والسياسي التي أفرزها عقل الحداثة والتنوير الأوروبي؟ وهل يمكن أن تكون الاسلاميات التطبيقية حلاً للازمة التي تعيشها المجتمعات العربية الاسلامية؟

1. العقل الانبثاقي:

هو ما يطلق عليه اسم "العقل الاستطلاعي الجديد" الذي بإمكانه استيعاب منجزات عقل الحداثة واختراقه بالنقد، إنه عقل يتجاوز عقل الأنوار، علما أن عقلانية أركون لا تلغي الجانب الروحي أو الديني أو الرمزي كما تجرأت الفلسفة الوضعية رغم أن المسيحية تمكنت في بعض جوانبها من استيعاب منجزات العقل العلمي وتوظيف مناهج العلوم الاجتماعية والانسانية منذ القرنين 18م و19م، بعد القيام بعدة ثورات لاهوتية، وكان للتيار البروتستانتي دورا مهما في نزع الأسطرة عن الكتاب المقدس ... ولهذا سعى إلى إعادة تقييم الوحي ودمج الاسلام داخل التجربة الانسانية بمعنى أنه كرس كل حياته الفكرية والعلمية من أجل انجاز ما يعتبره مهمة تاريخية صعبة تتجلى خاصة في البحث عن مخرج للفكر العربي الاسلامي من الفضاء العقلي للقرون الوسطى والولوج إلى الفضاء العقلي للعصور الحديثة ولهذا كان عنوان مشروعه هو القيام بعملية نقد جذري للتراث العربي الاسلامي، وقراءته قراءة نقدية، وفق الآليات والتقنيات المنهجية التي شهدتها العلوم الانسانية مثل: الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس التاريخي.

للخروج من هذا الانغلاق العقائدي ينبغي في نظره أن يكتسب العقل قدرات علمية وفكرية من أجل الاختراق والزحزحة. لأن العقل الديني -كما يصطلح عليه- يستغل كل اخفاقات العقل الحداثي ليشرع مصداقيته، ويؤكد مبادئه في إطار عودة الدين بأشكال وألوان مختلفة، واكتساحه لجميع الفضاءات السياسية، الاجتماعية الثقافية. لهذا يلح على العودة إلى كل ما أنتجته العلوم الاجتماعية لفتح فكر نقدي حر لتجاول كل الانغلاقات الحاصلة في مجتمعاتنا التي لا تزال تقليدية في نظره لأنها بعيدة كل البعد عن الثورة المنهجية على مستوى العلوم الإنسانية. يقول أركون:« المجتمعات العربية حافظت على الاسلام التقليدي ولم تنفتح على منجزات العلوم الاجتماعية.»(**Mohamed Arkoun, 2004, P: 715**) لهذا سعى إلى أن

يقدم عقلا بديلا لعقل الحداثة، وهو ما يصطلح عليه العقل المنبثق. يقول:« إن استراتيجيات التدخل النقدي للعقل المنبثق تعمل على الخروج من حالات اللبس والتداخل والتناقض والفوضى الدلالية التي تتضاعف في مجتمعاتنا، مجتمعات الاستعراض والاستهلاك والفكر العارض والمعارضة الجذرية ومجتمعات الرغبة في السلطة.»(**محمد أركون، 1997، ص:168**) وهذا ما يفرض علينا أنسنة كل مظاهر الحياة خاصة أن هذا العقل –أي المنبثق– مهمته تتجلى في إعادة تفكيك كل المفاهيم والمصطلحات التي حكمت ولازالت الخطاب العربي الإسلامي.

يتضح من هنا أن المهمة التي تكفل بها أركون ليست بالبسيطة والهينة، لأنها تحتاج معركة مفتوحة وشاملة وعلى مستويات عدة. لهذا نجده يضطلع بمهمتين نقديتين تجاه الذات وتجاه الآخر، أي الغرب، ومن هنا تمكين القول أنه يمارس ما يصطلح عليه "عبد الكبير الخطيبي" بالنقد المزدوج، أي أنه يقوم بتفكيك مكونات الثقافة العربية الاسلامية قصد الكشف عما يصطلح عليه باللامفكر فيه، والمستحيل التفكير فيه. المفكر فيه هو ما تم السماح التفكير فيه في الفكر الاسلامي عبر تاريخه الطويل من قبل الدوائر الرسمية سياسية كانت أم دينية. أما اللامفكر فيه، هو ما لم يفكر فيه بعد داخل مجال التفكير الاسلامي، والمستحيل التفكير فيه هو ما لا يمكن التفكير فيه.(**محمد أركون، 1996، ص:256**) كونه يشمل حيزا ضخما ومتراكما في الفكر الاسلامي الموروث والمعاصر، ومضمونه هو تاريخية الخطاب الديني مع علاقته بالخطاب التاريخي الأكثر عمومية وشمولية. مؤكدا أنه إذا تم الكشف عن هذه المنطقة المظلمة من التاريخ الاسلامي، فإن الكثير من القضايا الصعبة والغامضة ستجد لنفسها حلولا آنية. يقول:« إن التاريخية أصبحت اللامفكر فيه، بالنسبة للفكر الاسلامي لسبب تاريخي واضح جدا يتمثل في رد الفعل السني الذي حصل على يد المتوكل عام 848م أي قبل حوالي ألف ومائتي سنة ثم تلاه رد الفعل القادري، وهو رد الفعل الذي أدى إلى تصفية الفلسفة التي تشتمل على علم الكلام المعتزلي، وبخاصة فيما يتعلق منه بالأطروحة القائلة بخلق القرآن وقد سارت على نهج المتوكل، جميع الأنظمة السياسية التي تعاقبت على أرض الاسلام، منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، وبالتالي فإن اللامفكر فيه متولد عن الدعم السياسي للإسلام الأرثوذوكسي في جميع نسخه، السنية والشيعية الإمامية

والاسماعيلية والخارجية.»(**محمد أركون، 2005، ص:48**) وقد أكد أركون أن هدفه الأساسي من بلورة هذه المفاهيم في قراءة الموروث الثقافي العربي الاسلامي هو:

- إغناء تاريخ الفكر عن طريق اضاءات الرهانات المعرفية والثقافية والايديولوجية للتوترات الموجودة بين التيارات الفكرية المتعددة.
- تنشيط الفكر الاسلامي المعاصر، وذلك بإثارة الانتباه إلى المشاكل التي تم استبعادها والمحرمات التي أقامها هذا الفكر، وكذلك الحدود التي وضعها والأفاق التي توقف عن التطلع إليها، أو منع، وكل ذلك باسم ما تم فرضه بصفة أنه الحقيقة المطلقة.(**محمد أركون، 1996، ص:253**) علما أن ما لم يفكر فيه الفكر الاسلامي أهم وأجل شأنا مما كان قد فكر فيه، ومهمته كمجدد للفكر الاسلامي أن يفتتح تلك القارة الواسعة من اللامفكر فيه، والتي بقيت مغلقة زمنا طويلا، "إن اللامفكر فيه ليس إلا تراكما للمستحيل التفكير فيه في عدة مراحل متعاقبة من التاريخ، وذلك لأسباب دينية واجتماعية وسياسية."(**محمد أركون، 1996، ص:18**) بمعنى أنه يفكر بكل ما لم يفكر فيه الفكر العربي الاسلامي، وكل ما فكر فيه أيضا لدراسته ونقده من الداخل. بمعنى أنه يهدف إلى "إعادة التفكير في الإسلام ... ربما كان من الأفضل- والقول لأركون- أن تترجم كلمة (PENSER) الفرنسية، هنا بكلمة التعقل، كأن تقول كيف تعقل الاسلام اليوم."(**محمد أركون، 1993، ص:224**) كل هذا لم يمنع من حضور النقد بمعناه الفلسفي العميق، وخاصة على الطريقة الكانطية، إذ نجده في كل الزوايا الفكرية الأركونية (في معظم مؤلفات أركون أن لم نقل كلها)، ولهذا جعل العقل نفسه محركا للسياسة النقدية التي يتبناها، ومراجعة كل البنى الفكرية التي ساهم في تشكيلها وظهورها وهنا أصبح اكتشافها ومعرفتها عن طريق النقد هدفا أسمى، لأنه لا يهدف إلى نقد الكتب أو الأنساق الفلسفية ولكنه يسعى إلى نقد قدرة العقل ونقد الذات انطلاقا من الذات نفسها مستحضرة بذلك التجربة التاريخية لها عبر مراحلها المختلفة والمعقدة.

- نقد الثقافة الغربية، خاصة في تبنيها لمفهوم المركزية الغربية وتعاملها مع ثقافات الشعوب الأخرى من هذا المنطلق، والسبب في ذلك يرجعه أركون إلى حيادها عما رسمته فلسفة الأنوار. يقول أركون:« إن مشروعي في نقد العقل الاسلامي يمثل جزءا لا يتجزأ من هذا البرنامج الطموح، والجديد حقا، والذي يهدف غلى تفكيك مناخين من الفكر، وليس مناخا واحدا فقط، فليس المناخ الفكري العربي الاسلامي هو وحده المستهدف بالنقد والتفكيك، وإنما المناخ الفكري الغربي أيضا.»(**محمد أركون، 2000، ص:46**)
- إن أركون يعتمد على استراتيجية نقدية متعددة ومتنوعة تدرك حدود المناهج التي يستدعيها من أجل ممارسة فعل الحفر والقراءة، وهو ما يصطلح عليه بالمنهجية التداخلية المتعددة الاختصاصات.(**مصطفى كيحل، 2011، ص:27**) أي أنه جند كل ما أنتجته العلوم الانسانية من مناهج وآليات معاصرة لقراءة التراث العربي الاسلامي من خلال ثلاث خطوات أساسية هي: "الاختراق والزحزحة والتجاوز"، خاصة وأن واقع المجتمعات العربية على صلة وثيقة بالتراث، هذا الأخير الذي يدرسه أركون وفق منهجيته المعروفة باسم المنهجية التقدمية التراجعية. "بمعنى أنه يسلط أضواء الماضي على الحاضر وأضواء الحاضر على الماضي، لكي يضيء الماضي والحاضر في آن معا."(**محمد أركون، 2012، ص:08،07**) فلا يمكن فهم حاضر العرب المسلمين، دون الوقوف على ماضيهم البعيد، خاصة وأن معظم مشاكلهم مثل الأصولية والطائفية والمذهبية، وغياب التفكير الفلسفي، وانهيار حضارة العصر الذهبي الكلاسيكية والصراع المستمر مع الغرب –متجذرة في الماضي، ولهذا لم يوفر أركون جهدا من أجل البحث عن الحقيقة التاريخية للعقل الاسلامي فالتفكير في مشكلات المجتمعات الاسلامية ينبغي أن ينطلق من التاريخ الكوني، وتجنب كل أخطاء الدراسات الاستشراقية التي ركزت على الطريقة الوصفية أو السردية، واهتمت فقط بالتاريخ الكرونولوجي السياسي في نقل العقائد منفصلة عن سياقها التاريخي، وعمدت أحيانا في نظر أركون إلى فصل العقائد عن أنظمتها المعرفية المتحكمة في الخطابات وهذا العمل يدخل في إطار مهمة الدراسات الاستشراقية غير المعلنة، وهذا ما يؤكد أننا أمام حتمية تاريخية تدعونا إلى ضرورة إعادة قراءة الاسلام

والدين الاسلامي قراءة علمية للتحرر من قيود السياسة كما حدث للمسيحية الغربية، أي الخروج من الدائرة الضيقة، دائرة مقاومة الحداثة الفكرية والعلمية بحجة الحفاظ على التراث وهو ما يصطلح بالسياج الدوغمائي؛ فما المقصود بالتراث الاسلامي عند محمد أركون؟

حاول أركون أن يدخل الاسلام إلى الحضارة العالمية، وهذا من خلال تعامله مع التراث العربي الاسلامي بكل جدية واحترافية، مثلما تعامل كبار المفكرين الفرنسيين مع تراثهم، ولهذا حاول الكشف عما هو جديد، على قراءة التراث ببعديه الديني والثقافي، فجند شبكة غنية من المناهج التي طورها الفكر الغربي في الفترة المعاصرة (التاريخية، الألسنية، الأنثروبولوجيا الدينية، علم الاجتماع) من أجل الحفر في طبقات الماضي المتراكمة محاولا بذلك استخراج ما تم السكوت عنه اراديا وطمسه وحجبه في إطار ما يسميه "بالمستحيل التفكير فيه" ليميزه عما سكت عنه لا إراديا، أي ما يسميه اللامفكر فيه، وهذا لعدة أسباب سياسية واجتماعية ودينية، لكن هذا لا يعني أن أركون همش ما هو مدرج داخل دائرة المفكر فيه أو ما سمح بالتفكير فيه، بالاعتماد على قراءة نقدية جزئية تستخدم مصطلحات حديثة ومعاصرة كالتاريخية، المتخيل الديني، المتخيل الاجتماعي، الأسطورة، الرمز، المجاز، وربط بين "المقدس والعنف والحقيقة"، ومن هنا ميز بين الديني والايديولوجي بين الوحي كطاقة خلاقة وتجلياته اللغوية في التاريخ، ليوضح الفرق الموجود بين الاسلام كدين، وكإطار تاريخي خاصة أن الانخراط في الحداثة، لا يتم إلا بممارسة النقد التاريخي، والاستفادة من نتائجه على مستوى الفكر العربي الاسلامي، لأن التراث الذي عمل أركون جاهدا على صبر أغواره وكشف مصادره المختلفة، له تاريخية خاصة به، كما للعقل الذي أنتجه تاريخية عمل يجب توضيحها.

ولهذا يمكن القول أن منهج النقد التاريخي الذي تبناه أركون جعله يميز بين ظاهرتين طالما تداخلتا بقوة في تاريخ الفكر العربي الاسلامي هما "الظاهرة القرآنية"، والظاهرة الاسلامية"، وانطلاقا من علم الألسنيات الحديثة، يطرح أركون تمييزا جديد على مستوى الفكر العربي الاسلامي بين "الخطاب القرآني" والنص القرآني" معتمدا الخطاب القرآني، إن التمييز الذي يطرحه أركون من خلال تطبيق الآليات والتقنيات المنهجية التي أفرزتها العلوم الانسانية والاجتماعية لدراسة ظاهرة الوحي خارج كل الأطر والتعاليم الدينية التقليدية. "لجعل عملية فهم الوحي ممكنة باعتباره، أي الوحي –ظاهرة لغوية وثقافية قبل أن يكون مجموعة من تركيبات لاهوتية

يجب القبول بها كما هي."(**عبد الإله بلقزيز وآخرون، 2011، ص:124**) أي أن إخضاع النص الديني للقراءة التاريخية النقدية حق مشروع علميا لكن تعميم هذه القاعدة على التراث الاسلامي أو الحالة الدينية الاسلامية أمر في غاية الخطورة والصعوبة لأنه يصطدم بمجموعة عوائق أهمها الشعور الجماعي المتمسك بإلهية مصدر النص وحرمته وتعاليه عن أي مساءلة، وهذا ما تطلع إليه أركون في بيئة ثقافية اسلامية ترفض الاجتهاد والتجديد والبحث العلمي تحول فيها التراث إلى نص مغلق محاط بأسيجة دوغمائية فرضها العقل الأرثوذوكسي الذي شكل في الأديان التوحيدية وهمين عليها. يقول:« هو ذلك السور المسيج بالأسلاك الشائكة للعقيدة الرسمية، وبالتالي فلا يمكن الخروج منه، ما إن تدخله وتندمج فيه، ويصبح العقل فيه خاضعا للتراث الأرثوذوكسي (أو الرسمي) المقدس، ويتحكم فيه هذا التراث، ويسيطر عليه أكثر كلما مر الزمن، وزاد من تقديس هذا التراث ونزع كل صبغة تاريخية عنه.»(**محمد أركون، 2000، ص:233**) ومن هنا تشكلت الجدلية الحاكمة لتاريخ الوعي الاسلامي قديما وحديثا وهي جدلية المسموح التفكير فيه والممتنع التفكير فيه ولهذا يؤكد على ضرورة غربلة التراث وتصنيفه واخضاعه لعملية تفكيك نقدي تناول كل اليقينيات المطلقة والمغلقة. يقول:« إن نقد العقل الاسلامي يهدف إلى تفكيك كل هذا البناء الشامخ والمقدس الذي يحتمون به اليوم من أجل الحصول على المشروعية أو من أجل المحافظة عليها.»(**محمد أركون، 2001، ص:117**) فالنقد التاريخي للتراث الاسلامي والعقل الاسلامي ما زال حلما مستبعدا بالنسبة للمجتمعات العربية الاسلامية لأن واقعها يفرض ذلك وهو مقيد بمجموعة من الأسباب أهمها:

- الافتقار إلى الأدوات العلمية والمنهجية لممارسة النقد.
- ابتعاد الباحثين والدارسين العرب والمسلمين عن واقع الثورات المعرفية المعاصرة ومكتسباتها.
- اهتمام المجتمعات العربية الاسلامية بالمجال السياسي على حساب مجال البحث العلمي عكس ما يحدث بالمجتمعات الغربية التي نجحت فيما يصطلح عليه بنقد العقل الديني.
- فالتحرر الفكري لن يتحقق إلا بالوصول إلى قراءة نقدية تاريخية مسؤولة للتراث العربي الإسلامي – الذي سيطرت عليه طويلا الأصولية المنتصرة شعبويا– وهذه المهمة لن تتحقق إلا وفق البديل الأركوني

المتمثل في الاسلاميات التطبيقية، التي تقوم بعملية غربلة التراث وادخال الحداثة العقلية بمفهومها الواسع والشامل إلى المجتمعات الغربية الاسلامية، فما المقصود بها؟

2. الاسلاميات التطبيقية:

يقتبس أركون علم الاسلاميات التطبيقية من كتاب الأنثروبولوجيا التطبيقية لـ "روجيه باستد Roger Bastide" anthropologie appliqué (1898-1974م).(**مصطفى كيحل، 2011، ص:33**) ويضيف في موضوع آخر "أنني أتحدث عن الاسلامولوجيا التطبيقية مثل بعض الأنثروبولوجيين الفرنسيين ومنهم روجيه باستيد."(**محمد أركون، 1982، ص:81**) والغرض من ذلك هو دراسة واقع المجتمعات العربية الاسلامية انطلاقا من التراث، فكيف ذلك؟ تعتبر الاسلاميات التطبيقية نقطة الانطلاق في المشروع الفكري والنقدي عند محمد أركون، بل يمكن اعتبارها هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله كل القضايا التي يمكن وضعها تحت مجهر النقد الأركوني للثقافة العربية الاسلامية، وتعتبر البديل الذي يطرحه أركون مقابل الاسلاميات الكلاسيكية، التي أنتجها العقل الاستشراقي الغربي في تعامله مع التراث العربي الاسلامي، ومن هنا يؤكد أن الاسلاميات التطبيقية جاءت لتصحيح النظرة الاستشراقية للثقافة العربية الإسلامية، لكن كيف حدد أركون الاسلاميات التطبيقية؟

2. 1: تعريف الاسلاميات التطبيقية:

يعرف أركون الاسلاميات التطبيقية بأنها ممارسة علمية متعددة الاختصاصات وهذا ناتج عن اهتماماتها المعاصرة ومخاطرها، وكذا المتطلبات الخاصة بموضوع دراستها."(**مختار الفجاري، 2005، ص:42**) وهذا يعني تجاوز الاسلاميات الكلاسيكية التي قام بها المستشرقون كونها خطابا غريبا حول الاسلام، بحصر اهتماماته من خلال كتابات الفقهاء ونقلها إلى اللغات الأجنبية الأوروبية دون تحليلها وتفكيكها من أجل تعرية فرضياتها الضمنية للكشف عن بنيتها المفهومية والمصطلحية.(**محمد أركون، 1990، ص:08**)

بالاعتماد على المنهج الفيلولوجي الذي يعتبر العمود الفقري الذي تقوم عليه الدراسات الاستشراقية للموروث الثقافي العربي الاسلامي.

إن بلورة الاسلاميات التطبيقية عند أركون لا تعني أنه يلغي مساهمات المستشرقين ومناهجهم وكل أعماله توحي بالمكانة المعتبرة التي يوليها لهؤلاء كانت تنحصر في نقاط ثلاث أساسية ومفصلية وهي:

- المساهمة الاستشراقية الايجابية: وهنا يعترف أركون بالدور الكبير الذي قام به المستشرقون في تأسيس ميدان الدراسات الاسلامية، وارساء قواعد ومناهج البحث العلمي وتنميتها وهذا ما لم يكن في وسع الباحثين العرب والمسلمين أن يقوموا به في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وهذا مرده بالدرجة الأولى حسب أركون إلى:

  - ضعف صلتنا بالمصادر الأساسية المشكلة للتراث الاسلامي، والتي كان معظمها غير منشور والمنشور عنها غير محقق علميا.
  - افتقارنا إلى المناهج الحديثة التي تقوم بعملية التنقيب والتحليل، وهذا ما يمتلكه المستشرقون، وقد طبقت على التراث الغربي بشقيه اليهودي والمسيحي أن النقد الذي يقدمه أركون للباحثين العرب والمسلمين في عدم التكفل بدراسة تراثهم والاعتناء بنصوصه يحمل في طياته نقدا لاذعا للاستشراق، بمعنى أن المكانة المعرفية التي حظي بها المستشرقون تتغذى من التقصير العربي الاسلامي ومعطياته منذ القديم.

- القصور المنهجي: لا تسمح المقاربة الفيلولوجية لنصوص التراث بأكثر من الوصف والسرد والتدقيق في مصادر الفكرة والمضمون، فهي تقدم قراءة محدودة وهي تؤسس لنظرة اقصائية مفادها أن للنص معنى واحد. يقول:« إنها منهجية وصفية سكونية بطبعها، لأنها تغرق في التفاصيل واستخلاص الوقائع والتواريخ والأحداث من النصوص القديمة، ثم تقوم بترتيبها، وفرزها وتصنيفها لكي تكتب تاريخ الاسلام بشكل خطي، مستقيم، متسلسل، بحسب الصورة التي تعكسها النصوص الاسلامية ذاتها.»(**محمد أركون، 2001، ص:182**) وتطبيقه ينجر عنه ما يلي:

- البساطة والسطحية في تناول التراث.
- انعدام أصالة النصوص التأسيسية التي يطبق عليها هذا المنهج، وغياب الروح التحليلية النقدية التي يلح عليها في دراسة التراث.
- الغربة عن المناهج الحديثة: يرى أركون أن الساحة الفلسفية الغربية شهدت تحولات فكرية معرفية عميقة خلال النصف الثاني من القرن العشرين أدت إلى إحداث تغيرات جذرية على مستوى المناهج- علم التاريخ، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، الفلسفة، التحليل النفسي، علم الاجتماع الديني- لتفتح أفاقا معرفية جديدة لم تكن موجودة في المجتمعات الغربية وفي مقابل هذا ظل الاستشراق أو الاسلاميات الكلاسيكية وفيا لتقاليده المنهجية التي ورثها عن القرن التاسع عشر. يقول:« كان الاستشراق ومازال يرزح في قيود تقاليده الفكرية والمنهجية الموروثة، ويأبى الخروج منها والانفتاح على موجات التطور المعرفي الجديد.»(**محمد أركون، 2001، ص:61**)

لهذا يمكن القول أن أركون تأثر بالثورة المنهجية التي شهدتها العلوم الانسانية والاجتماعية التي أفرزت الاسلاميات التطبيقية التي تعتبر عدة منهجية كافية لتحرير الفكر الاسلامي من التراث المحاط بأسيجة دوغمائية، وهذا بغية تعرية ألاعيبه وتفكيك مقولاته واسقاطاته الايديولوجية ولهذا تسعى الاسلاميات التطبيقية إلى اثبات تاريخية العقل العربي الاسلامي لأنها منهجية متعددة الجوانب تجمع بين القراءة التاريخية الأنثروبولوجية والقراءة الألسنية السيميائية الأدبية، وهي قراءة مزدوجة عمودية من حيث تركيزها على بنية النص والتفاعل معه وأفقيته، من حيث أنها تشير إلى التناص الحاصل بين النص القرآني ونصوص أخرى سابقة له، وهذا ما يوظفه أركون فيما يصطلح عليه "بالفضاء الجغرافي التاريخي المتوسطي".

2. 2: مهام الاسلاميات التطبيقية:

إذا حاولنا أن نقف عند المهام الأساسية للإسلاميات التطبيقية فإننا نحصرها في مهمتين رئيسيتين، وهما الحفر في التراث وضبط آليات الحداثة، ومنهما تتفرع مهام أخرى:

- دراسة تاريخ الفكر الاسلامي دراسة نقدية تحليلية.
- نقد العقل الاسلامي من خلال تفكيك أطره الدوغمائية التي تحكمه وتكبح تطوره.
- إعادة الاعتبار إلى جانب مهم في التراث الفكر الاسلامي وهو التراث الانساني العقلاني.
- الاهتمام بأبعاد أخرى في تاريخ الفكر الاسلامي مثل المتخيل والمجاز.
- ضرورة العودة إلى العهد لتدشين للإسلام وقراءة نصه التأسيسي، وفق قراءات تتجاوز القراءات التقليدية الاستشراقية.
- الالحاح المستمر على إقامة قطيعة مع كل نظرة اختزالية للتراث الاسلامي.

2. 3: عوائق الاسلاميات التطبيقية

إن المهمة الصعبة التي أوكلت للإسلاميات التطبيقية لم تمنع من وجود عوائق تحد من تحقيق هذه المهام وأهم عائقين هما:

- الأسيجة الدوغمائية التي تحاصر المجتمعات العربية والتي نمتها الأنظمة التقليدية وتصوراتها الدينية والعقائدية والايمانية والأعراف الاجتماعية.
- تمسك الطبقة الحاكمة مكانها وسلطتها المطلقة، وذلك بتسخيرها المقدس، وكل الرموز الدينية وتحويلها مجرد شحنات ايديولوجية، ورفض كل محاولات التغيير الجادة والجذرية، لأن في هذا خلخلة وخلع لمشروعيتها.

خاتمة:

ختاما يمكننا القول أن ما ميز محمد اركون عن معاصريه الذين اهتموا بالعقل الاسلامي وقدموا مشاريع نقدية، هو انضباط بحثه في اطار منهجي متعدد الابعاد، فجوهر المشروع النقدي لأركون هو التأسيس لإنسانية منفتحة في اطار ما يسميه بالإسلاميات التطبيقية من خلال التشريع لما يصطلح عليه بالعقل الاستطلاعي أو

الانبثاقي المستقبلي الذي يرهن كل ممارسات الغي والاقصاء، ويسعى الى تأسيس نمط فكري يقبل التنوع والتعدد الثقافي المشترك بين الانسانية، فالمنهج هو الذي آل بأركون الى تأسيس هذا الفضاء النقدي الواسع، واكسبه مشروعه المميز المصداقية والجرأة، خاصة من ناحية تعامله مع النص القرآني والتراثي، وهذا ما جعله يحتل مكانة مرموقة في الساحة الفكرية التي تهتم بمسألة المنهج اكثر من غيرها، وهنا تكمن قيمة مشروعه خاصة في استثماره المناهج الغربية، وحسن توظيفها لغايات معرفية بحتة، فهو مشروع جديد يأبى السرد والوصف دون عمل اي اعتبار للعراقيل التي تواجهه، سواء كانت اجتماعية او سياسية او دينية، لكن رغم ما قيل ويقال عن اركون، الا ان هناك مجموعة من النقاط التي يمكن ادراجها ضمن نقائص المشروع الأركوني:

- أن العمل النقدي الذي قام به اركون والذي عمل جاهدا لصياغته في مشروع نقد العقل الاسلامي من أجل تفكيك النصوص والمؤسسات الفكرية والتاريخية على مستوى قارة الفكر الاسلامي مستندا في ذلك الى مصادر فكرية غربية معرفية ومنهجية، ولهذا أراد أن يحقق مكانته من خلال ما أنتجه الغرب، وأبدعه من مفاهيم ومناهج وهو بذلك يستمد منهجا جاهزا، ولهذا ظل ما انتجه على مستوى المنهج يصنف ضمن دائرة التبشير والاندهاش بالثورة المنهجية على مستوى العلوم الانسانية والاجتماعية، والتي تظل غريبة على مجتمعاتنا وخصوصيتنا الحضارية.

- ينخرط مشروعة ضمن أرضية هشة وفارغة، وكأنها نوع من اليوتوبيا التي لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع، خاصة ونحن في مجتمعاتنا العربية مازلنا نعاني من غياب العقل، كمؤسسة علمية ومعرفية لم تتشكل بعد ولم يصبح مؤسسة قائمة بذاتها. فهو عمد إلى ممارسة النقد الجذري للفكرين الغربي والعربي. لكن هذا لا ينفي القيمة المعرفية التي يحتلها أركون، والتجديد الذي قدمه، حتى وإن استعار جهازا مفاهيمياً طبقه على الفكر الاسلامي، وهذا ما لم نعهده ممن جاء قبله أو من معاصريه.

قائمة المصادر والمراجع:

1. قائمة المصادر:

أ: باللغة العربية:

_ أركون، محمد. (1982). **التأمل الابستيمولوجي غائب عند العرب**. مجلة الفكر العربي المعاصر. العدد: 20، 21، 22. بيروت: مركز الانماء القومي.

_ أركون، محمد. (1990). **الاسلام الأخلاق السياسية**. ط 1. تر: هاشم صالح. بيروت: مركز الانماء القومي.

_ أركون، محمد. (1993). **الفكر الاسلامي نقد واجتهاد**. ط 2. تر: هاشم صالح. بيروت: المؤسسة الوطنية للكتاب.

_ أركون، محمد. (1996). **الفكر الاسلامي قراءة علمية**. ط 2. بيروت: مركز الانماء القومي.

_ أركون، محمد. (1997). **نزعة الأنسنة في الفكر العربي (جيل مسكويه والتوحيدي)**. ط 1. تر: هاشم صالح. بيروت: دار الساقي.

_ أركون، محمد. (2000). **قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الاسلام اليوم**. تر: هاشم صالح. بيروت: دار الطليعة.

_ أركون، محمد. (2001). **الاسلام، أوربا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة**. ط 2. تر: هاشم صالح. بيروت: دار الساقي.

_ أركون، محمد. (2005). **القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**. تر: هاشم صالح. بيروت: دار الطليعة.

_ أركون، محمد. (2009). **نحو نقد العقل الإسلامي**. ط 1. تر: هاشم صالح. بيروت: دار الطليعة.

_ أركون، محمد. (2012). **نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية**. ط 2. تر: هاشم صالح. بيروت: دار الساقي.

ب: باللغة الفرنسية:

_ Arkoun, Mohamed. (2004). **l'islam, réformer ou subvertir, l'islam en France**. yves charles Zakaria, sylive Taussig, cynthia Fleuz. presses universitaires de France.

2. قائمة المراجع:

_ الفجاري، مختار. (2005). **نقد العقل الاسلامي عند محمد أركون**. بيروت: دار الطليعة.

_ بلقزيز عبد الاله، وآخرون. (2011). **محمد أركون المفكر والباحث والانسان**. ط 1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

_ كيحل، مصطفى. (2011). **الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون**. ط 1. الجزائر: منشورات دار الأمان.